

قبل الانتحار

في هذه الغرفة المنفردة الهادئة قد جلستُ بالأمس المرأة التي أحبها قلبي.
إلى هذه المساند الوردية الناعمة قد أَلقتُ رأسها الجميل، ومن هذه الكأس البِلُورِيَّةِ
قد شربتُ جرعة من الخمر، ممزوجة بقطرة من العطر.
كل ذلك قد كان بالأمس، والأمس حُلْمٌ لا يعود، أما اليوم فقد ذهبَتُ المرأة التي أحبها
قلبي إلى أرض بعيدة خالية مقفرة باردة تدعى بلاد الخلو والنسيان.
إن آثار أصابع المرأة التي أحبها قلبي، لم تزل ظاهرة على بلور مرآتي، وعطر أنفاسها
ما برح متضوعًا بين طيات أثوابي، وصدى صوتها لم يضمحل بعد من زوايا منزلي —
ولكن المرأة نفسها — المرأة التي أحبها قلبي قد رحلتُ إلى مكان قَصِيٍّ يُدعى وادي الهجر،
والسلوان، أما آثار أصابعها، وعطر لهاثها، وأشباح روحها، فستبقى في هذه الغرفة حتى
صباح الغد، وعند ذلك أفتح نوافذ منزلي؛ لتدخل أمواج الهواء، وتجرف بتيارها كل ما
تركته لي تلك الساحرة الحسناء.

إن رسم المرأة التي أحبها قلبي لم يزل معلقًا بجانب مضجعي، ورسائل الحب
التي بعثت بها إليَّ ما برحت في العلبه الفضية المرصعة بالعقيق والمَرْجَانِ، وذوابة الشعر
الذهبية التي حبتني بها تذكاريًا لم تخرج قط من الغلاف الحريري المبطن بالمسك والبخور
— جميع هذه الأشياء ستبقى في أماكنها حتى الصباح — وعند مجيء الصباح أفتح نوافذ
منزلي، ليدخل الهواء، ويحملها إلى ظلمة العدم إلى حيث تقطن السكينة الخرساء.
إن المرأة التي أحبها قلبي شبيهة بالنساء اللواتي أحبتهن قلوبكم أيها الفتيان،
هي مخلوقة عجيبه صنعتها الآلهة من وداعة الحمامة، وتقلبات الأفعى، وتيه الطاوس،
وشراسة الذئب، وجمال الوردة البيضاء، وهول الليلة السوداء مع قبضة من الرماد، وِعَرْفَةٌ
من زَبَدِ البحر.

وقد عرفتُ المرأة التي أحبها قلبي أيام الطفولة، فكنت أركض ورائها في الحقول، وأتمسك بأذيالها في الشوارع.

وعرفتُها أيام الصبا، فكنت أرى خيال وجهها في وجوه الكتب، والأسفار، وأشاهد خطوط قامتها بين غيوم السماء، وأسمع نغمة صوتها متصاعدة مع خرير السواقي. وعرفتُها أيام الرجولة؛ فكنت أجالسها محدثًا، وأسألها مستفتيًا، وأقترب منها شاكيًا ما في قلبي من الأوجاع، باسطًا ما في روحي من الأسرار. كل ذلك كان بالأمس، والأمس حلم لا يعود، أما اليوم فقد ذهبَتْ تلك المرأة إلى أرض بعيدة خالية مقفرة باردة تدعى بلاد الخلو والنسيان.

أما اسم المرأة التي أحبها قلبي فهو الحياة.

فالحياة امرأة ساحرة حسناء تستهوي قلوبنا، وتستغوي أرواحنا، وتغمر وجداننا بالوعود، فإن أمطلت أماتت فينا الصبر، وإن أبرَّت أيقظت فينا الملل. الحياة امرأة تستحم بدموع عشاقها، وتتعطر بدماء قتلاها. الحياة امرأة ترتدي الأيام البيضاء المبطنة بالليالي السوداء. الحياة امرأة ترضى بالقلب البشري خليلًا، وتأباه حليلًا. الحياة امرأة عاهرة؛ ولكنها جميلة، ومن يرى عهرها يكره جمالها.